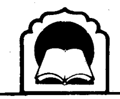
خواطر الشيخ الشعراوى

حول عمران المجتمع الإسلامى

جمع وتحليل
مهندس
يحيى وزيرى

مكتبة التراث الإسلامى
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

مكتبة التراث الإسلامي



٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

مقدمة بقلم

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

الابن يحيى وزيرى

أحمد الله على ما وفقك إليه من توجيه لفنك وهوايتك لخدمة دينك ، وأشكرك على أن فتحت باباً يجب أن يعلمه الناس وهو أن الإسلام دين عمارة للإنسان فى دنياه وآخرته ، وأدعوه سبحانه وتعالى أن يوفق أمثالك من عشاق العلم أن يجند علمه وفنه لخدمة دينه وبذلك يلتفت الناس جميعاً إلى أن الدين يطلب منهم جمال الحياتين .

والله يرعاكم ويوفقكم جميعاً

محمد متولى الشعراوى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

منذ عدة سنوات وأنا أحاول كأحد المعماريين المسلمين أن أتلمس المفاهيم الواضحة لعمارة المجتمع المسلم والتى تعتمد فى أصولها على قيم وتعاليم الإسلام سواء كان ذلك من خلال آيات القرآن أو من خلال تعاليم رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام هذا إلى جانب بحثى وتنقيبى عن الآراء الفقهية لعلماء الإسلام والتى يمكن أن تتعلق بموضوع عمارة المسلمين ، وفى خلال هذا البحث والتنقيب وجدت بعضاً مما كنت أبحث عنه من خلال أحاديث وخواطر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول آيات القرآن الكريم ، والشيخ الشعراوى فى غنى عن التعريف فهو من علماء المسلمين الأفاضل والذى يساهم بجهد عظيم لرفعة شأن الإسلام وتعريف المسلمين بشئون دينهم ، جزاه الله خيرًا عما يقدمه للإسلام والمسلمين من علم نافع .

وحصيلة هذا البحث الذى فى أيديكم هو عبارة عن أجزاء مقتطعة من خواطره وأحاديثه عن القرآن فى بعض الجرائد والمجلات خلال تسع سنوات منذ بداية عام ١٩٨٠ م حتى عام ١٩٨٩ فلقد كنت أبحث دائماً عن خواطره حول عمران المجتمع المسلم خلال خواطره القرآنية ولقد خرجت بعديد من القواعد والمفاهيم والتى يجب أن نطبقها كمتخصصين فى مجال التعمير والإنشاء بل

كمجتمع مسلم يريد أن ينفذ مشيئة الله سبحانه وتعالى فى عمارة الأرض العمارة الصالحة والتى أمرنا الله بها .

وبذلك فإن هذا الكتاب يعتبر أول محاولة لمعرفة رأى عالم فاضل من علماء الدين فى أمور عمارة الدنيا ، وهو يعتبر جهدا متواضع معا فى هذا المجال إقتناعًا منى بأن الدين الإسلامى منهج شامل ودستور حياة لا يقتصر فقط على العبادات ولكنة يمتد ليشمل جميع مناحى الحياة المختلفة موضحا الطريق السوى والصراط المستقيم الذى يجب أن يهتدى به الناس أجمعين وبخاصة من آمنوا منهم بدين الإسلام ورسوله الكريم .

وجدير بالذكر أن أنوه هنا إلى أن القاسم الأكبر والذى وفقنى الله إلى أن أجمعه من خواطر الشيخ الشعراوى حول عمارة المجتمع المسلم هو من جريدة اللواء الإسلامى من خلال خواطره الأسبوعية حول آيات القرآن الكريم إلى جانب أحاديث أخرى متفرقة فى بعض الكتب والمجلات والجرائد .

وقد حاولت بقدر الإمكان أن أحلل هذه الخواطر وأن أوضح كيفية تطبيقها من الناحية المعمارية وذلك بأسلوب مبسط حتى يستفيد منها كلاً من القارىء المتخصص أو العادى .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الجهد البسيط خالصا لوجهه تعالى وأن ينفع به كل من يقرأه ، وأن يهديه إلى أن يعمل بما جاء فيه من آراء وأفكار قيمة نابعة من تعاليم الإسلام .

مهندس معمارى / **يحيى وزيرى**

عمـــارة الأرض عبـــادة

ينحصر مفهوم الإسلام عند البعض على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج ، أى أن مفهوم الإسلام عندهم لا يتعدى ممارسة العبادات ، وبالتالى ينفصل عندهم الدين عن الدنيا مما ينعكس ذلك بأسوأ الآثار على المجتمعات الإسلامية ومما يؤدى إلى تأخرها واعتمادها فى حياتها على كل مايرد إليها من الغرب من كساء وغذاء وفكر أيضاً ..

ولكن عندما خلق الله الانسان وأمره بعبادته ، فإن جزءاً أساسياً من هذه العبادة هو فى تعمير الأرض بالمعنى الواسع لمفهوم التعمير سواء كان ذلك بالمبانى أو بشق الترع والأنهار أو باستصلاح الأراضى للزراعة وما إلى ذلك ، ويؤكد فضيلة الشيخ الشعراوى على هذا المعنى فى واحد من خواطره القرآنية حول تفسير الآية الكريمة ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾[1] حيث يقول فضيلته[*] :

«لذلك نجد المنهج الايمانى مترابطا يبدأ من الاختيار للايمان ويقود إلى افعال متآزرة تتساند كلها لتقيم عمارة الكون ..

والبعض يحاول أن يقصر الاسلام فى أركانه فقط.. كالصلاة والصيام والزكاة وحج البيت.

---

(١) من الآية ٦١ من سورة هود .

(*) جريدة اللواء الإسلامى عدد ١١٧ سنة ١٩٨٤ .

ونحن نقول لمن يدعى ذلك ... لا ..

إن الاسلام هو كل حركة فى الحياة تناسب خلافة الانسان فى الأرض .. لأن الحق سبحانه وتعالى يقول فى كتابه ﴿**هو انشاكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾ أى أن الحق سبحانه قد خلقنا من طين هذه الأرض وطلب منا أن نعمرها، لذلك تكون كل حركة تؤدى إلى عمارة الأرض من العبادة .. ولذلك فليست العبادة مقصورة على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والصلاة والصوم والزكاة وحج البيت الحرام ..

إن هذه هى أركان الاسلام التى تقوم عليها حركة الحياة والتى ينبنى عليها بنيان الاسلام .. فإن جاء قوم وقالوا : «نحن ليس لنا إلا أن نجلس ونتعبد .. لهؤلاء نقول كم ستأخذ الصلاة من وقتك طوال النهار .. هل ستأخذ أكثر من ساعة إن كنت غاية الورع .. والصوم كم سيأخذ منك ؟ .. إنه صيام نهار شهر رمضان .. والزكاة تأخذ ساعة فى نهار من عام لتحسبها .. والحج ؟ إنه رحلة واحدة فى العمر .. إذن .. فماذا يفعل الانسان فيما يبقى من عمره .. ؟

أيظل كسولا .. ويرضى لنفسه موقف العالة على غيره .. ألن يأكل ويلبس .. ؟

من أين يأكل .. ؟ أليس مطالبا بالسعى للرزق وأن يساهم فى إعمار الأرض .. .

إن حكاية رغيف الخبز التى رويتها خلال هذا الحديث أخذت من تفكير البشر وخبراتهم الكثير من

العلوم والكثير من الحركة والكثير من الطاقة .. وحتى لو حسبنا فقط جهد الانسان الذى يذهب إلى الفرن ليحمل الخبز إلى الدكان ليبيعه .. إنه يقضى نهاره من أجل ذلك فى كد وتعب ..

ألم يفكر هذا الأنسان ان هناك سلسلة من المصانع قد تم بناؤها وسلسلة من العلماء قد وضعوا عصارة جهدهم للتخطيط والتصنيع حتى يصير القمح خبزا .. ؟ .

لقد قام الفلاح بزراعة الأرض .. وحرثها بمحراث تجره الماشية التى تحتاج عناية ورعاية أو بواسطة محراث آلى يحتاج إلى قائد ووقود وصيانة .. ثم جمع المحصول من الأرض بعد نضجه .. ورعايته بالسماد والرى أثناء فترة الزراعة .. ثم يدخل القمح فى سلسلة طويلة من الأعمال حتى يصير خبزا ..

لذلك فكل هذه الأعمال مادام قد قام بها إنسان يؤمن بوحدانية الله ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام فهى عبادة ..

إن الانسان الذى ينتفع بحركة المتحرك فى الحياة عليه أن يعرف أن المؤمن الحق هو من يتفوق فى إتقان عمله بجانب أداء فروضه الدينية .. إما أن يقول واحد . أن اقصر حياتى على الصوم والصلاة فهذا لون من التقصير فى العبادة .. لأن العبادة تتضمن إقامة أركان الاسلام الخمسة وطاعة الله فى كل ما أمر به وأن ينتهى الانسان عن كل ما نهى عنه .. وكل ذلك فى إطار : ﴿هو انشاكم من الأرض واستعمركم فيها﴾

«من الآية ٦١ من سورة هود»

وكل عمل يؤدى إلى عمارة الأرض عبادة .. وإلا سيكون الانسان كسولاً وهذا ضد ما أمر به الحق لأنه انتفاع بعمل الغير مقابل كسل لا يقبله الله »..

ويتضح لنا من حديث الشيخ الشعراوى أن عمارة الأرض عبادة بل أن كل عمل يؤدى إلى عمارة الأرض فهو أيضا عبادة ، فما علينا بعد أن اتضحت لنا هذه الحقيقة إلا أن نقوم بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى فى عمارة الأرض وخاصة أن الله قد مكن البشر فى الأرض حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾ (سورة الأعراف آية ١٠) ، ويحدثنا الشيخ الشعراوى عن أحد جوانب تمكين الله لعباده من عمارة الأرض وبناء مساكنهم حيث يقول فضيلته(*) :

« .. الأرض من طبيعتها ثبات قشرتها حتى يستطيع الناس أن يعيشوا عليها ، ويبنوا مساكنهم ، ويمارسوا حياتهم .. ولو أن قشرة الأرض لم تكن ثابتة لاستحالت الحياة عليها ، ولاستحالت عمارتها .. والله سبحانه وتعالى يريد منا عمارة الأرض .. ولذلك جعل قشرتها ثابتة صلبة » .

فما علينا إلا أن نوجه هذا التمكين إلى عمل دؤوب لتعمير الأرض عمارة واسعة فاضلة ولا شك أن توجيه هذا التمكين إلى تعمير الأرض أفقياً أى بالامتداد الأفقى مستصلحين صحاريها ومقيمين المدن الجديدة يتمشى مع المعنى الحقيقى للتعمير بدلاً من التواجد فى مناطق محدودة من الأرض والامتداد بالمبانى

(*) كتاب « الأدلة المادية على وجود الله » ، صدر عن مكتبة التراث الإسلامى .

بالامتداد الأفقى مستصلحين صحاريها ومقيمين المدن الجديدة يتمشى مع المعنى الحقيقى للتعمير بدلاً من التواجد فى مناطق محدودة من الأرض والامتداد بالمبانى رأسياً مما يسبب الكثير من المشاكل المتعددة للمجتمعات البشرية ومنها ما تعانيه المدن الكبرى كمدينة القاهرة ومعاناة سكانها بل وسكان مصر بصفة عامة المتكدسين حول ضفاف نهر النيل فى مساحة تقدر بـ ٤٪ من إجمالى مساحة مصر .

الأسلوب الأمثل لعمارة الأرض :

ولا شك أن عمارة وتعمير الأرض لا يكون عشوائياً بل توجد قواعد ومعايير يجب أن تراعى عند عمارة الأرض ، ويوضح لنا فضيلة الشيخ الشعراوى الأسلوب الأمثل والصحيح لعمارة الأرض فيقول (*):

« ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ (سورة هود - الآية ٦١) .

معنى استعماركم ، أى طلب منكم عمارتها .. وذلك لا يأتى إلا بأمرين : أن تبقى الصالح على صلاحه لا تفسده .. وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه .. وزينة الله على الأرض من أثرين .. آثار خلق الله .. وهى الطبيعة التى وهبها الله لنا دون أن يكون لنا جهد فيها .. وآثار ما فعله الأنسان بما علمه الله له ليزين به الأرض » .

(*) كتاب اليوم « معجزة القرآن » الجزء الثامن ، صدر عن مكتبة التراث الإسلامى .



مدينة عربية (دمشق)

ومن خلال حديث فضيلة الشيخ الشعراوى نجد أن احترام البيئة والتى هى من صنع وخلق الله والتى تتمثل فى الحياة النباتية أو الطبيعة من أنهار وبحار وما إلى ذلك أمر هام ويجب أن يأخذ فى الاعتبار ، وهنا يظهر التكامل بين العمارة والبيئة الطبيعية ، كما أن العمارة يجب أن تستمد جذورها وأصالتها من المبانى الموجودة أصلاً فى البيئة التى تبنى فيها والتى تتمثل فى تراث أى شعب أو أمة وهى نتيجة لأثر وفعل الإنسان فى هذه البيئة أو المنطقة على مر فتراتها التاريخية .

فقديمًا كنا نجد المصمم المعمارى ومخطط المدن يأخذ فى اعتباره العوامل المناخية واستعمال المواد المحلية المتوافرة فى البيئة وأساليب البناء التى تتوافق مع سكان المنطقة التى فيها ، لذلك وجدنا على سبيل المثال مدنًا إسلامية فى مختلف بلدان العالم الإسلامى تحترم فى تخطيطها عوامل المناخ وتستخدم فى مبانيها الحجارة كمدينة القاهرة بمصر الإسلامية أو الطوب كمدن العراق القديمة ، ثم كان يخرج تخطيط هذه المدن متوافقًا مع تعاليم الإسلام فى توسط المسجد الجامع لهذه المدن وتوفير الخصوصية لمساكنها ثم عمل التشريعات اللازمة لتسيير شؤون هذه المدن والتى تنبع من الشريعة الإسلامية ، فكانت هذه المدن نموذجية فى تخطيطها وأصبحت مثالاً يُحتَذى لكل الأجيال المتعاقبة .

ولكن بالنسبة للعصر الحديث ومع التقدم التكنولوجى والعلمى نسى المعمارى ومخطط المدن قواعد التصميم التى تحترم البيئة وتعمل على التكيف معها ، بل أن بعض المصممين يعتبرون أن كل الأشكال أو العناصر المعمارية والمستمدة من التراث المعمارى غير صالحة للاستعمال الآن ، متناسين بذلك أن لكل بيئة ولكل شعب طراز معمارى خاص يتناسب مع بيئته ومع معتقداته وعاداته وتقاليده ...

لذلك فإن البداية الصحيحة لعمارة وعمران الأرض تتركز على احترام البيئة بشقيها سواء كانت طبيعية متمثلة فى خلق الله أو من صنع الإنسان وهو ما نطلق عليه مُسمى التراث المعمارى[1] .

---

(١) يمكن تعريف التراث المعمارى بأنه مخزون مادى قيم كما أنه قيمة معنوية ، مخزون مادى يتمثل فى المبانى أو البيوت الأثرية القديمة .. أى أنها أشياء مادية ، كما أنها قيمة معنوية ممنوحة من قِبَل المجتمع بمعنى أن يشعر أفراد المجتمع بأن هذه الأشياء المادية قد اكتسبت صفات مميزة كأن تعبر عن تاريخ هذا المجتمع أو مراحل تطور ثقافته، فيجد المجتمع أنه لزامًا عليه أن يمنح تلك القيمة المعنوية لهذا المخزون المادى .

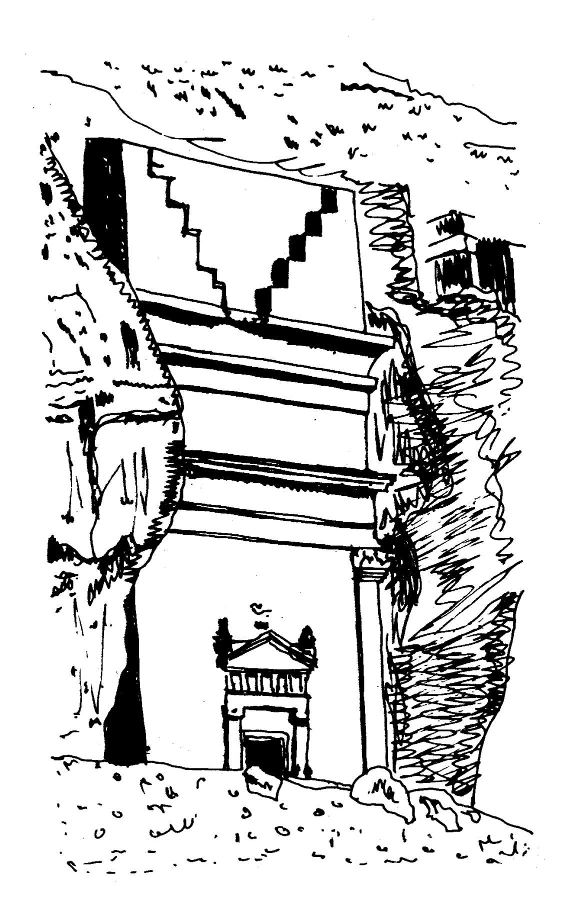
تأثير قيم وأخلاقيات الاسلام على العمارة

الظلم هو السبب الأساسى لزوال العمران وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (سورة القصص آية ٥٩)، وقد جعل الله المجتمعات العمرانية الظالمة عبرة لمن بعدها من الأمم وذلك عن طريق آثارها الباقية ، وفى ذلك يقول فضيلة الشيخ الشعراوى فى أحد خواطره القرآنية تحت عنوان « لماذا بقيت آثار فرعون »(*) :

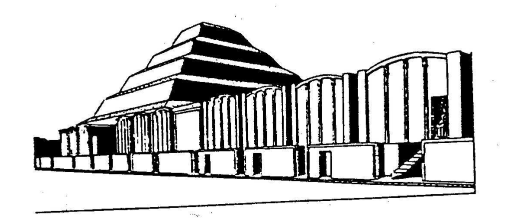
«بالنسبة لثمود إذا ذهبنا إلى مدآئن صالح فى السعودية وقد حفروا بيوتهم فى صخور الجبال ، ونحن نرى أمامنا آثار فرعون كلها مسلات ضخمة وأعمدة عالية وأهرامات مرتفعة ، أما عاد فإن الله سبحانه وتعالى قد طمس آثارها فلم نعثر منها على شىء حتى الآن ، وعلى أية حال فإن كل حضارة من هذه الحضارات قد طُمِست آثارها ، وإن وُجِدَ لها أثر فهو لا يدل على شىء إلا آثار فرعون التى يأتى إليها الناس من أنحاء الدنيا كلها ليتعجبوا من جمال البناء وفن البناء وهندسة البناء ... وكيف نُقِلَت هذه الأحجار الضخمة إلى الأماكن العُليا فى الأهرامات بدون سقالات ... وكيف ارتبطت الأحجار كلها مع بعضها البعض هذه السنوات الطويلة دون استخدام الأسمنت

(*) جريدة اللواء الإسلامى سنة ١٩٨٩م .

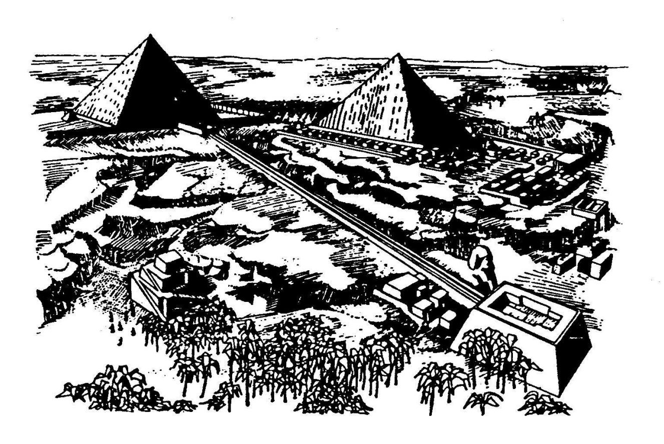
(**) هذه هى إحدى نظريات بناء الأهرامات ولا نستطيع أن نجزم بصحتها .



مبنى منحوت فى الصخر بمدائن صالح



هرم زوسر



منطقة أهرامات الجيزة

أو غيره من مواد التثبيت للأحجار بل تم ذلك بتفريغ الهواء فكيف استطاعت هذه الهندسة العجيبة أن تفرغ الهواء بين حجرين كبيرين ضخمين ليلتصقا ببعضهما إلتصاقًا لا يستطيع أحد أن يزحزحه وذلك أن تفريغ الهواء بين أحجار الأهرامات جعلها تلتصق بغير لاصق(**)، فإذا كانت حضارة الفراعنة قد وصلت إلى هذا الفن الهندسى فى البناء باستخدام تفريغ الهواء بين أثقال ضخمة تكون هذه حضارة راقية جدًا ... هذا إذا نظرت إلى البناء فقط».

ثم يكمل فضيلة الشيخ الشعراوى حديثه فى موضع آخر قائلاً :

«أين ذهب صناع هذه الحضارة وقد بلغوا أسقف الدنيا فى عصرهم، لابد أن قوة أعلى منهم مكنتهم، ولكن لماذا أتى الله بآل فرعون فى هذه الآية بالاسم؟ بينما أتى بالحضارات التى كانت قبلهم إجمالاً فقال تعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (سورة الأنفال آية ٥٢ : ٥٤) لأن آثار آل فرعون قد كشف الله عنها ورغب فيها البشرية كلها ليأتوا ليروا تلك الحضارة الهائلة التى لم تستطع أن تحمى نفسها، وذلك الذى ادعى أنه إله لم يستطع أن يضمن لنفسه البقاء. الله سبحانه وتعالى يريد من البشر جميعا أن يأتوا ليشهدوا هذه الحضارة وما وصلت إليه، ثم يروا أن الله قد أهلك أصحابها وأصبحوا أثرًا بعد عين ليعرفوا أن القوة لله جميعا».

ونخرج من حديث فضيلة الشيخ الشعراوى عن آثار الفراعنة بأن الكفر وعدم طاعة الله هو سبب لهلاك وزوال العمران مهما بلغ من رقى وتقدم، وأن الله قد أبقى بعضاً من آثار الأمم السابقة حتى يعتبر البشر بما حدث لمن

سبقهم من هذه الأمم حيث كانوا أكثر منهم قوة وأعظم حضارة ، ونجد أن إنعكاس هذا الدرس الإلهى علينا باعتبارنا مسلمين يريدون أن يعمروا الأرض يجب أن يكون إنعكاساً إيجابياً بحيث نتخلق بأخلاقيات الإسلام ونعمل بتعاليمه كل فى موقع تخصصه سواء منا المهندس مصممًا أو مشرفًا على التنفيذ ، أو العامل الذى ينفذ توجيهات المهندس بدقة وإتقان ، أو مالكاً للعقار لا يبخل بماله حتى يخرج المبنى مطابقًا للمواصفات الفنية ومستوفياً للشروط الخاصة لراحة مستعملى هذا المبنى بعد بنائه .

ويعطينا الشيخ الشعراوى بعض الأمثلة لمبانى قائمة فعلاً فى القاهرة والتى تعبر عن أخلاقيات فترة معينة ليست ببعيدة عنا حيث كان إتقان العمل هو السمة المميزة لهذه الفترة ، فيقول فضيلته فى أحد خواطره القرآنية تحت عنوان « معرفة أخلاق العصر من المعمار »(*) :

« ولذلك إن أردت أن تعرف خلق وأخلاق أى عصر واستقامته أو آفاته فى تصريف الحركة .. فلننظر إلى المعمار فى هذا العصر ،
والمعمار هو المبانى التى نراها .. وعلى سبيل المثال نحن نجد فى القاهرة مبنى السجل العقارى قد تم بناؤه من عشرات السنين . وكذلك محكمة النقض وأيضاً مبنى هيئة البريد .. كل هذه مبان قديمة لكنها تحتمل الناس فيها .. بينما المبانى فى العصر الحديث نجدها عكس ذلك .

ونحن نسمع ونقرأ عن المبانى التى تنهار والضحايا

(*) جريدة اللواء الإسلامى ، عدد ٩٦ ، سنة ١٩٨٣م .

الذين يستخرجون جثثهم من تحت الأنقاض .. لماذا كل ذلك و ما منشأ كل ذلك ؟

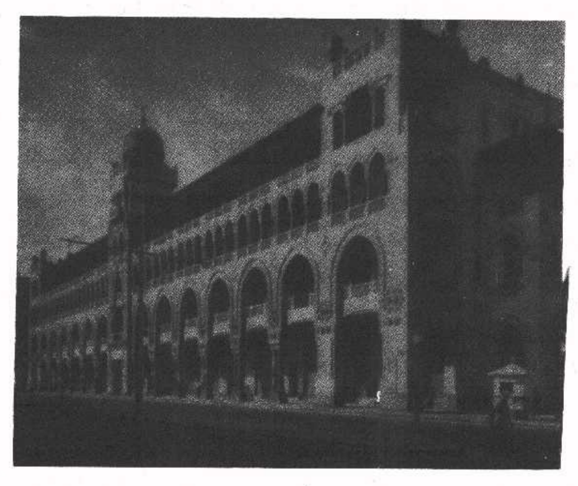
إنه من أكل المال بالباطل .. ينظر . الانسان إلى عمارة لم يتم تسلميها بعد لسكانها .. ونجد دورة المياة وأساليب الصرف الصحى فاسدة .. أو نجد الشرفات على وشك الانهيار وكذلك السلم الذى لم يصعد عليه أحد بعد .. إن ذلك كله من أكل الأموال بالباطل ..

وامير الشعراء أحمد شوقى نظر إلى هذه المسألة ورأى أن قياس أخلاق الناس يمكن النظر إليه من خلال المعمار .. فقال .

وليس بعامر بنيان قوم ..
إذا أخلاقهم كانت خرابا

ولذلك فإنى أقترح على الدولة أن تفتح لكل عمارة تقام سجلاً . ويوضع فيه اسم الممول .. والمهندس الذى أشرف على البناء والتصميم والمقاول وأسماء العمال ، ومن أقام التصميم لدورات المياه والصرف الصحى .. وعندما يحدث أى خطأ فى أى مجال . فالمسئول من هؤلاء هو الذى تجب محاسبته .. ذلك أن أرواح الناس أمانة يجب الحفاظ عليها وألا نتركها فريسة لهؤلاء الذين يتفننون فى أكل الأموال بالباطل » .

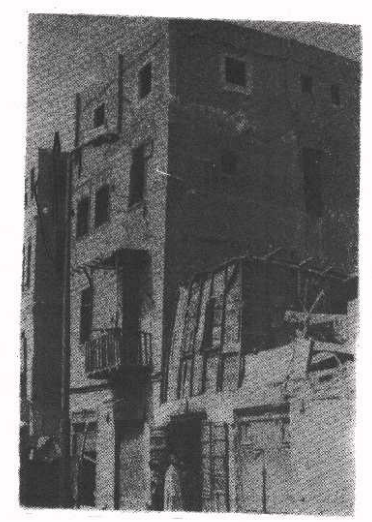
ونحن إذا تأملنا المبانى التى أوردها الشيخ الشعراوى كأمثلة للمبانى الجيدة مثل مبنى السجل العقارى أو محكمة النقض أو هيئة البريد فنجد أنها كلها مبان ذات طراز كلاسيكى أوروبى ، ولكن تتسم بدقة التصميم وإتقان التنفيذ ،



نموذج لمبنى فى أوائل القرن العشرين
(طراز البواكى لمبانى مصر الجديدة)

وهى بذلك تعبر عن فترة اتسمت بالتأثر بالفكر الغربى وبأعمال المهندسين الأجانب ، وإن كان الإتقان هو السمة الأساسية والتى كان يتميز بها الأسلوب المتبع فى تنفيذ المبانى فى هذه الفترة ، فى حين أن مبانى العصر الحديث تجمع بين الإغتراب الفكرى وسوء التنفيذ مما يؤدى إلى إنهيار بعض من المبانى أو على الأقل سوء حالة تشطيبها وخاصة فى تنفيذ الصرف الصحى بها والذى يظهر أثره على واجهات دورات المياة أو المطابخ بهذه العمارات أو المبانى .

لذلك فإن الشيخ الشعراوى يقترح للتغلب على سوء تنفيذ وتشطيب المبانى أن يكون لكل عمارة سجلاً فيه اسم الممول والمهندس الذى أشرف على البناء والمصمم والمقاول بحيث يمكن محاسبة المتسبب عن أية أخطاء تظهر بعد الانتهاء من عملية البناء ، وفى الحقيقة فإن أى مبنى لا يتم استخراج رخصة بناء له إلا عن طريق مهندس نقابى يصمم هذا المبنى ويوقع على إقرار للإشراف على تنفيذه لضمان سلامة المنشأ وهذا معروف لكل المشتغلين فى مجال الإنشاء والتعمير ، ولكن يكمن الخطأ فى أن بعض الملاك وخاصة فى المناطق الشعبية حيث ينخفض الوعى الثقافى بصفة عامة لا يقتنعون بأهمية وجود مهندس ليصمم لهم المبنى أو أن يشرف على تنفيذه ، فيتم استخراج رخصة البناء ، إن استُخْرجَتْ عن طريق أحد مهندسى الحى أو التنظيم نظير مقابل مادى أو رشوة إذا أردنا أن نعطيها المسمى الحقيقى حتى يتمم الإجراءات الرسمية لاستخراج رخصة البناء وتكون توقيعات المهندسين على إقرار الإشراف على التنفيذ حبرًا على ورق وبذلك لا يكون هناك أى إشراف واقعى عند التنفيذ الفعلى للمبنى فتنحصر المشكلة فى هذه الحالة بين مالك لا يرى أية فائدة من استقدام مهندس متخصص ليبنى له مسكنه وبين مهندس مسؤل بالحى يستغل وظيفته ليأكل حراماً وهذا يحدث على مستوى المبانى صغيرة المساحة المتواجدة



أسلوب البناء فى الأحياء الفقيرة
(التصميم والتنفيذ سيىء)



أسلوب البناء فى الأحياء الراقية
(الفكر غربى والتنفيذ متقن)

غالباً بالأحياء الشعبية وهى تمثل الغالبية العظمى من كم المبانى فبالتالى ينحدر فيها مستوى التصميم والتنفيذ ، ولكن فى بعض المناطق والأحياء الأخرى حيث الإمكانيات المادية متوفرة والمستوى الثقافى للمالك أكثر رقياً ومساحات الأراضى أكبر نجد أن المالك يستقدم مهندسًا ليصمم له المبنى ويشرف على تنفيذه وتنحصر المشكلة فى هذه الحالة فى الشكل المعمارى الذى يخرج عليه التصميم أو المبنى حيث يخرج غربى الشكل والفكر ليس له أى هوية ولايتفق مع بيئتنا ومجتمعنا وذلك نتيجة لتأثر كل من المالك والمهندس بالفكر والثقافة الغربية والتى أصبحت سمة غالبة فى الكثير من المجتمعات الإسلامية والعربية فى عصرنا الحديث ، هذا إلى جانب أن قوانين البناء لا تهتم إلا بأشياء جامدة كارتفاعات المبانى ومساحات المناور وبروز البلكونات ولا تساهم بأى دور إيجابى لإيجاد طابع معمارى لمبانى مجتمعنا المسلم .

وهنا يظهر حجم المشكلة الحقيقى والتى تنعكس على المبانى سواء بالتصميم غير المناسب للمجتمع أو البيئة إلى جانب عدم إتقان التنفيذ ، فالتصميم يعتبر إنعكاساً مباشراً للإنبهار بالفكر الغربى حتى ولو كان غير متوافق مع بيئتنا وديننا أما التنفيذ السيىء فهو نتيجة للبعد عن أخلاقيات الإسلام وتعاليمه ، وبذلك فإن العودة إلى تعاليم الإسلام هى السبيل الوحيد لإيجاد العمارة الصالحة والفاضلة ، ومن هذه التعاليم ينهل المصمم مراعياً بيئته ومجتمعه الذى يبنى فيه وفى نفس الوقت يحمى اقتصاديات مجتمعه وأموال أفراده من الضياع هباء بإتقان التنفيذ ، فتطبيق قيم وأخلاقيات الإسلام سواء فى التصميم الجيد أو التنفيذ المتقن هو الطريق الصحيح لعمران إسلامى معاصر .

المسجد الحرام أول بيت وُضِعَ للناس

عندما نريد أن نتتبع عمران الأرض فإنه يجب أن نبدأ من أول بيت وضعه الله للناس على الأرض ألا وهو البيت الحرام وهو القبلة التى اختارها الله للمسلمين يتجهون إليها وقت صلاتهم حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَآءِ ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة من الآية ١٤٤) .

ولبناء الكعبة قصة معروفة أوضحها لنا الله سبحانه وتعالى فى أكثر من موضع من كتابه الكريم ، ويقص علينا فضيلة الشيخ الشعراوى قصة بناء الكعبة فى أحد خواطره القرآنية فيقول(*) :

« هذه القصة لها صلة بتأصيل العقيدة فى نفس المؤمن .. ولها صلة أيضا بالاتمام والاكمال الذى ابتلى به إبراهيم حتى صار إماماً ،

إن هذا المقام كان مكان قيام إبراهيم عليه السلام ببناء البيت .. ولنا أن نعرف القصة بالترتيب الطبيعى لها .. لقد أمر الحق إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت .. وأن يرفعا القواعد .. ولم يكن هذا الأمر

(*) جريدة اللواء الإسلامى ، عدد ٧٧ ، سنة ١٩٨٣م .

قابلاً للتنفيذ إلا بعد أن أوجد الله البيت ..

إن الترتيب الطبيعى أن يوجد البيت أولاً .. وبعد ذلك ترفع فيه القواعد .. إن الحجر الذى كان يقوم عليه إبراهيم عليه السلام ليرفع القواعد من البيت .. هذا هو المقام .. ويريد الله أن يلفتنا إلى أشياء .. هى إحداث قصة هذا المقام ..

إن العلماء قد اختلفوا فى بداية البيت الحرام ..

بعضهم قال : إن البيت الحرام قد تم بناؤه فى عهد إبراهيم عليه السلام .. وبعضهم قال : إن البيت الحرام قد تم بناؤه فى عهد آدم عليه السلام .. وبعضهم قال : إن البيت الحرام قد أوجده الله قبل آدم عليه السلام ..

ولننظر نريد بالمنطق والاستقراء العقلى أى الآراء الثلاثة هو الصحيح .. إن العلماء الذين قالوا : إن البيت الحرام قد تم بناؤه فى عهد إبراهيم عليه السلام .. لابد أن نقول لهم :

لقد اقمتم الدليل على رأيكم من قوله الحق : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ .. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا .. إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

(الآية ١٢٧ من سورة البقرة) .

و لابد هنا أن نفرق بين « الرفع » و « البناء » .. إن البناء يستدعى ألا يوجد البيت .. ثم يتم بناؤه بعد ذلك .. أما « الرفع » فهو الاعلاء والصعود .. أى أن البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام .. بطوله وعرضه لكن إبراهيم عليه السلام أقام البيت أى

جعل له ارتفاعاً .. وصار بذلك له طول وعرض وارتفاع .. أى صار له حجم . كأن الحق تبارك وتعالى حين يقول : ﴿ **وإذ يَرفع إبراهيمُ القواعد من البيت** ﴾ كان المقصود والمفترض من ذلك القول أن خليل الرحمن أقام الجدران فقط .. أما الطول والعرض فقد كانا موجودين قبل إبراهيم عليه السلام .

وهكذا نعرف أن قواعد البيت قد انطمست بالسيل أو عوامل التعرية أو إمتدادات الزمن ..

إن الحق أراد أن يظهر لنا « المكين » .. وهو مكان البيت الحرام .. أى الساحة التى أقام عليها إبراهم جدران الكعبة .. والحق يقصد أن يوضح لنا أن قواعد البيت كانت معلومة لابراهيم عليه السلام ..

إن « المكين » هو مساحة البيت الحرام التى نتجه إليها عندما نقيم الصلاة .. سواء كنا فى بطن الأرض .. أو فى الفضاء أو فى نفق تحت الأرض .. أو على سطح الأرض .

دليل آخر على أن « المكين » كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام .. هذا الدليل هو غيرة سارة عندما لم تطق وجود هاجر معها بابنها إسماعيل .. كانت سارة بغير ولد .. وكانت هاجر لها ولد هو إسماعيل .. وكان من الطبيعى أن تغار سارة من هاجر ..

واخذ إبراهيم عليه السلام هاجر وابنها إسماعيل إلى الكعبة .. إلى مكان البيت الحرام .. وهنا يقول الحق : ﴿ **رَّبَّنَا إِنِّى اسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ**

﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (الآية ٣٧ من سورة إبراهيم) .

وهكذا نفهم أن سيدنا إبراهيم أسكن ابنه إسماعيل وهاجر عند البيت الحرام .. ولم يكن مكان البيت الحرام غير محدد بالضبط لابراهيم .. إنه يعرف المنطقة .. لكنة لا يعرف المساحة ولا يعرف حدود « المكين » .. وتأتى بعد ذلك مرحلة ثانية يحددها الرحمن الحق بقوله : **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً.. وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ.. وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** (الآية ٢٦ من سورة الحج) .

هنا يحدد الحق أنه أرشد إبراهيم عليه السلام إلى « المكين » .. أى إلى مكان البيت الحرام .. ومساحته بالضبط .. ليبدأ بعد ذلك إقامة البيت .. ومعه إسماعيل عليه السلام .. بعد أن كبر قليلاً ليعاونه فى رفع البيت الحرام ..

إذن نتعرف هنا على الترتيب التالى :

أولاً : أن « المكين » كان موجوداً من قبل إبراهيم عليه السلام ..

ثانيا : أن إبراهيم عليه السلام كان يعرف المنطقة التى يوجد بها البيت الحرام «المكين» وإن كان لم يتعرف بعد على مساحته بالتحديد ..

ثالثا : أن إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر وابنها

إسماعيل فى هذه المنطقة .

رابعاً : صدر أمر الحق لابراهيم أن يقيم البيت الحرام بعد أن أوضح له مكانه بالضبط . لقد أوضح الحق مساحة « المكين » .. والذى يجب عليه أن يقيم القواعد له هو وابنه إسماعيل عليه السلام ..

خامسا : أننا عندما نبحث أى أمر أو قضية فى القرآن الكريم .. فإننا نجمع كل ما يتعلق بها من القران حتى لا نبحث فى آية بمعزل عن أخرى والحق تبارك وتعالى يقول :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الآية ٩٦ من سورة آل عمران) .

ومعنى ذلك أن الحق قد أوضح لنا أن هناك « بيتاً » للناس هو أول بيت وضعه الحق للخلق من قبل أن يهبط آدم إلى الأرض ..

ذلك أن الناس هم آدم وزوجه وأبناؤه إلى أن تقوم الساعة .. .. إن الحق يوضح لنا أن « البيت » موضوع للناس قبل أن يوجد الناس ..

وهكذا نعرف أن البيت الحرام كان موجودًا قبل إبراهيم عليه السلام .. بل وقبل آدم عليه السلام ..

إن آدم لم يضع البيت .. ولكنه نزل إلى الأرض ليجد البيت .. وهكذا يرد الحق على الخلق بأنه هو الذى أمر الملائكة أن تقيم البيت ليستقبل آدم وأبناءه من بعده .. ليصير البيت مثابة للناس جميعاً من أول آدم ..

وعندما جاء إبراهيم عليه السلام إلى « المكين » كان

يعرف أن هنا أرضاً لبيت وضعه الله للناس ليثوبوا إليه .. وبعد أن كبر إسماعيل قليلاً تلقى إبراهيم العلم عن الله بمكان البيت الحرام ليقيمه مع ابنه إسماعيل ..

إن قصة البيت الحرام تبدأ منذ اللحظة التى أراد فيها الحق أن يجعل فى الأرض خليفة .. خلق الله الأرض وقدر فيها أقواتها .. أعد الله لآدم وزوجه بيتاً ليثوب إليه آدم وأبناؤه من بعده ليكونوا فى أمان ..

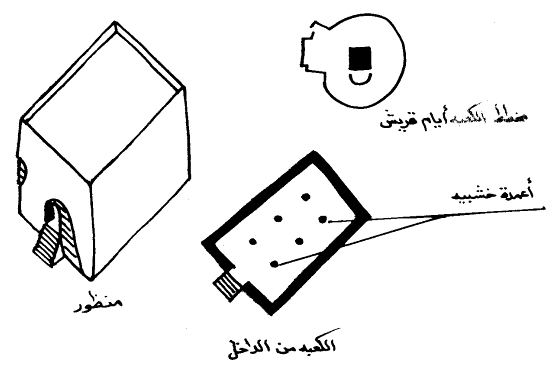
وتلقى إبراهيم عن الحق العلم بمكان البيت فأقام جدرانه .. وقام إبراهيم بإتقان المهمة التى كلفه بها الحق » ..

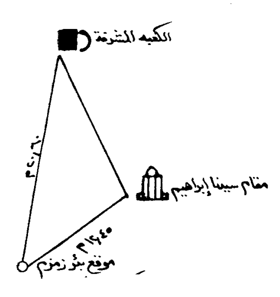
فبناء الكعبة مر بخمس مراحل كما أوضح الشيخ الشعراوى حتى أتم سيدنا إبراهيم بناؤها وهى المهمة التى كلفه بها الله سبحانه وتعالى .

أما بالنسبة لأماكن النسك الأخرى كمقام إبراهيم : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (آل عمران آية ٩٧) ، والمسعى بين الصفا والمروة ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة آية ١٥٨) ، وبئر زمزم والذى يقول الرسول عليه الصلاة والصلام عن مائة : – « ماء زمزم لما شرب له » ، فكل هذه الأماكن المقدسة والتى تشكل مع الكعبة بعض من أماكن النسك الأساسية لمن يأدون فريضة الحج أو العمرة لها قدسيتها ولها أبعادها وأماكنها الثابتة والتى يجب أن تبقى بنفس الوضع الذى تركه عليها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول فضيلة الشيخ الشعراوى(*) :

(*) مجلة عالم البناء عدد ٣ ، سنة ١٩٨٠م .

« أماكن النسك يجب أن تظل أماكن نسك كما كانت أيام المشرع النهائى سيدنا محمد ﷺ إن أوضاع المناسك يجب أن تظل بموضعها الذى تركت عليه بلا تصريف أو إبدال ولا يحتج فى عمليات التصريف بنقل رسول الله ﷺ لمقام إبراهيم من جوار الكعبة إلى مكانه الحالى بحيث صار بين المقام والكعبة مطاف اتسع للطائفين إلى أن تم توسعة المكان إلى ما وراء المقام، لا يحتج بهذا على جواز التصريف فى المناسك لأن الذى تصرف بذلك رسول خاتم وقد أعطاه الله التشريع جانباً قد ينسخ فيه شريعة رسول من قبله والدليل على ذلك أن مقام إبراهيم حينما حمله السيل خارج المسجد الحرام ورمى به فى المسفلة جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة مفزعا وجمع صحابته وناشدهم الله أن يدلوه على المكان الذى كان عليه المقام أيام رسول الله ﷺ قربًا من الكعبة أو بعداً عنها إلى أن وجد صحابياً كان قد أعد لمثل هذا الأمر عدته وقاس بمقاط (حبل) المسافة بين الحجر الأسود والمقام والمسافة بين الحطيم والمقام، فأراد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن يستوثق من صحة ذلك حتى لا يكون الرجل قد أراد أن ينهى الموقف على أى وضع فقال له إن كنت صادقاً فابق هنا وابعث من يأتى بالمقاط (الحبل) من البيت وفعلاً تم له ما أراد .. فتحرى عمر لوضع المقام أيام الرسول يدل على أنه ليس لمن بعد الرسول أن يتصرف فى شىء من المناسك بما يخالف ما كان عليه أيام الرسول ﷺ ».





المسافات بين الكعبة وبئر زمزم ومقام إبراهيم

أما بالنسبة لشكل وتخطيط المسجد الحرام فقد اختلف اختلافاً بيناً على مدى الفترات التاريخية التى مرت عليه ، وحدثت به زيادات كبيرة فى المساحة إلى جانب ترك فناء أوسط تقع به الكعبة ومقام إبراهيم والسلالم المؤدية إلى ماء زمزم وتم تغطية المسعى بين الصفا والمروة وتعددت أدوار المسجد وكل هذه الزيادات والتجديدات تهدف إلى استيعاب التزايد المستمر فى أعداد الحجيج عاماً بعد عام إلى جانب تيسير أداء مناسك الحج والصلاة بالمسجد الحرام .

ويتميز المسجد الحرام عن سائر مساجد الأرض بأنه ليس مكانًا للصلاة فقط ولكن أيضاً كمكان مقدس لأداء بعض من أهم مناسك الحج والعمرة والتى تعتمد على الطواف بالكعبة المشرفة والسعى بين الصفا والمروة ، والطواف والصلاة بالمسجد الحرام يكون على هيئة دوائر متتالية يشكلها الطائفون حول الكعبة أو المصلون فى صلاتهم ، فبذلك فإن الشكل الدائرى يعتبر هو أنسب الأشكال التصميمية للمسجد الحرام وهو ما يجب أن يتميز به عن سائر مساجد الأرض حتى لو كانت فى مكة والذى يعتبر الشكل المستطيل حيث الضلع الأكبر من هذا المستطيل يكون فى اتجاه الكعبة هو أنسب الأشكال المعمارية لهذه المساجد .

وهذا يجعلنا نحاول أن نصل بشكل المسجد الحرام إلى الشكل الدائرى وذلك من خلال الزيادات التى تضاف إلى مساحته كل فترة زمنية قَلَّت هذه الفترة أو كثرت أو على الأقل أن نراعى فى الإضافات الجديدة لمساحته أن تأخذ

خطوطاً دائرية يكون مركزها الكعبة الأمر الذى يساعد على توجيه المصلين نحو عين الكعبة بسهولة ويسر وهو ما يحقق أحد شروط صحة الصلاة داخل المسجد الحرام .

القيم الجمالية فى عمارة المساجد

المساجد هى بيوت الله على الأرض ، وهى المكان الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لإقامة الصلاة حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾ (النور آية ٣٦) .

وللمسجد رسالة كبرى فى المجتمع الإسلامى فهو لا يعتبر فقط مكانًا للعبادة بل أيضاً معهدًا ومدرسة دينية تتربى فيها أجيال المسلمين إلى جانب ما يمكن أن يؤديه من خدمات ثقافية وطبية فى بعض الأحيان .

وللمسجد مفهوم يوضحه لنا فضيلة الشيخ الشعراوى حيث يقول(*) :

« على أن الحق سبحانه وتعالى حين يقول : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ .. والمسجد هو المكان الذى نسجد فيه .. فكل بقعة فى الأرض بالنسبة للمسلمين مسجد .. وهذا مما خص الله به رسوله ﷺ .. الذى قال : « وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا » .. ونحن نتيمم من تراب الأرض ونصلى فى الأرض .. لكن هناك فرقا بين مكان يصلح لك أن تصلى فيه وتباشر فيه نشاط حياتك .. كالحقل مثلاً تصلى وتزرع .. أو المصنع تصلى وتعمل .. أو المدرسة تصلى وتعلم وتتعلم .. فهذه كلها أماكن حياة .. فإذا جاء وقت

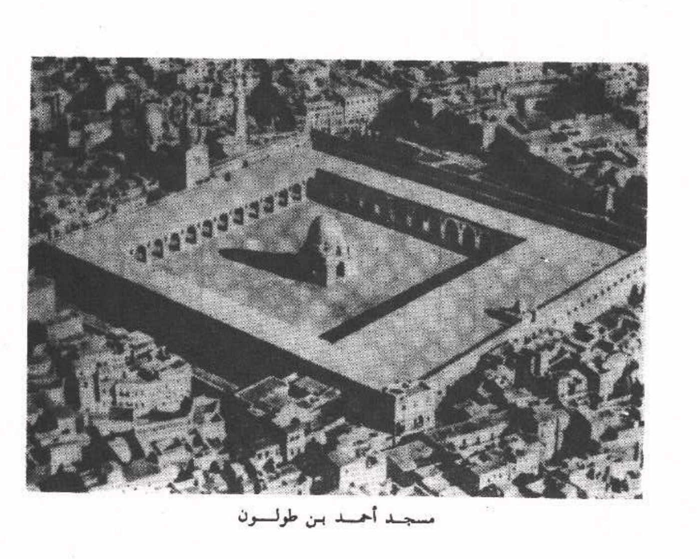
(*) جريدة اللواء الإسلامى عدد ٣٨٨ سنة ١٩٨٩م .

الصلاة لك أن تصلى فيها .. إذن فهى مساجد بالمعنى العام .. أى أماكن مسموح بالسجود فيها .. ولكن كلمة مسجد إذا أطلقت إنصرفت إلى ذلك الحيز المحدود الذى منعت فيه كل نشاطات الحياة .. وخصص أن يكون مكاناً للصلاة والسجود فقط .. إذن فكل الأرض مسجداً أى يصح أن يصلى فيها ..

فإذا خصصنا مكاناً وقلت هذا مسجد فلا يُزاول فيه أى نشاط إلا الصلاة .. والتخصيص هنا قد يكون بعلامات من الجير أو بالسلك أو بأى شىء آخر يحدد المكان بشكل واضح ..

والمسجد الشرعى هو المسجد المخصص للصلاة .. والمسجد لغة هو كل مكان تسجد فيه .. هذه المساجد كلها قبلتها تتجه إلى المسجد الحرام .. لماذا ؟ .. لأن كل المساجد فى الأرض هى أماكن خصصت للسجود والعبادة والصلاة .. ومنع فيها غير ذلك من حركات الحياة .. ولكن اختيار المكان هو اختيار البشر .. نقول نبنى هنا مسجداً .. ثم نقول إن مكانا آخر أحسن .. كل هذا باختيار البشر .. وكل هذه المساجد تتجه إلى المسجد الوحيد فى الأرض .. الذى خصص باختيار الله وليس باختيار أحد من البشر ..

إذن فقبلة مساجد الأرض التى هى بيوت الله باختيار البشر إلى الكعبة المشرفة التى هى بيت الله باختيار الله .. وهى أول بيت وضع للناس فى الأرض مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين** ﴾ . (الآية ٩٦ من سورة آل عمران) .



مسجد أحمد بن طولون

ومن ذلك نخرج بأن المسجد فى أبسط صوره الوظيفية لا يخرج عن كونه مساحة محددة من الأرض وهو ما أشار إليه الشيخ الشعراوى بقوله : « والتخصيص هنا يكون بعلامات من الجير أو بالسلك أو بأى شيىء يحدد المكان بشى واضح » إلى جانب أن تكون قبلة هذا المسجد هى الكعبة المشرفة بمكة ويعتبر حائط القبلة على ذلك أهم عنصر داخل المسجد حيث يعرف المصلى عن طريقه الاتجاه الصحيح الذى يجب أن يتجه إليه عند صلاته وهذا هو المفهوم المعمارى البسيط لكلمة مسجد .

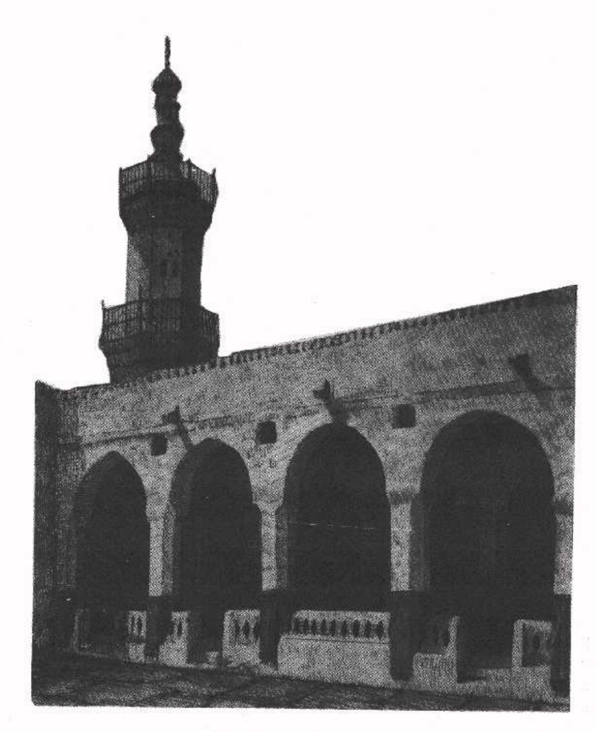
معنى عمارة المسجد

أما إذا أردنا أن نحدد مفهوماً أعمق لعمارة المسجد فنجد أن الشيخ الشعراوى يحدد لنا معنى عمارة المسجد من خلال شرحه لقول الله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ** ﴾[1] **فيقول فضيلته**[*] :

« **العمارة لها معنيان .. المعنى الأول هو الجلوس فى هذه المساجد بحيث تكون عامرة بزوارها .. المعنى الثانى هو المحافظة على بناية المسجد ونظافته وإصلاحه .. وقد منع الله المشركين من كلا النوعين من العمارة** » ..

ونحن يهمنا فى هذا المقام المعنى الثانى لعمارة المساجد والذى أورده فضيلة الشيخ الشعراوى وهو المحافظة على بنيان المسجد ونظافته وإصلاحه وأسلوب بنائه ، ومن القضايا الهامة التى تتصل بأسلوب عمارة المساجد هى قضية

(١) الآية ١٧ من سورة التوبة .
(*) جريدة اللواء الإسلامى عدد ٣٨٨ سنة ١٩٨٩م .



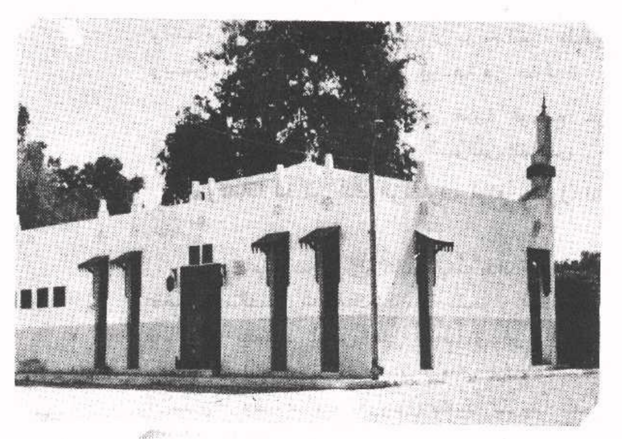
ارتباط المسجد بالبيئة

استخدام الزخارف فى تجميل المساجد وتزيينها ، ويوضح الشيخ الشعراوى وجهة نظر العلماء فى هذه المسألة فيقول(*) :

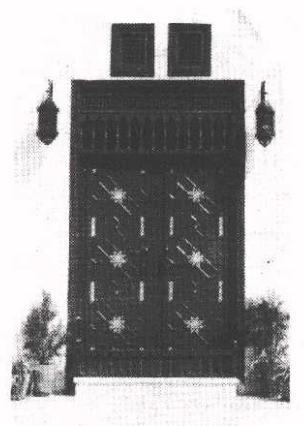
«للعلماء فى ذلك نظرتان ... كلتاهما نظرة مخلصة لدين الله فالذى يريد أن تظل للمساجد بساطتها وفطريتها يرى ألا يشغل الموجود فى المسجد بأى منظر آخر يخرجه من خلوته مع ربه والنظرة الثانية هى ألا يصح أن يكون بيت الله وهو منسوب إليه دون بيوت الناس عناية واهتماماً وتشييداً وزخرفة وتلك نظرة فيها ذوق إيمانى والرأى الذى يجب أن يكون أنه لا مانع من تشييدها وفخامتها والعناية بها عناية لا تخرج إلى استدامة النظر إليها نظرًا يشغل عن حضرة الصلاة .. وفى رأيى أن ذلك أمر اعتبارى بمعنى أنه إذا كنا فى بيئات لها مظاهر من الكنائس والبيع (معابد) فلا يصح أن تكون بيوت عبادتنا وهى بيوت الله دونها إلا فيما يصطدم مع قاعدة من قواعد الدين كوجود التصاوير والتماثيل والدمى .. والعناية بالشيىء لا يعنى فسوق زخرفته فمن الممكن أن تكون عناية تتمثل فى وقار الزخارف وفى وقار التجميل وورع الفن .

والناس الذين أترفوا فى بيوتهم وألفوا هذه المظاهر من زخرف وتشييد وإبداع لا يجب أن يشعروا بفارق بين بيوتهم ومساجدهم فلا بد وأن يكون هناك توازن بين جو المسجد وجو المنزل .. حتى نطيل أمد وجودهم فى المسجد .. لا أن يهرعوا خارجه بمجرد تسليم الامام

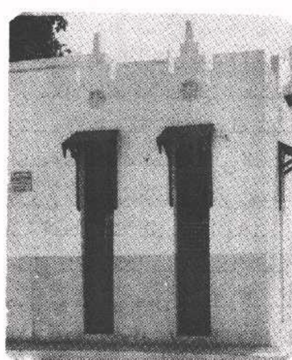
(*) مجلة عالم البناء عدد ٣ سنة ١٩٨٠م .



نموذج لمسجد معاصر
(مسجد كلية الطب البيطرى)
جامعة القاهرة



باب المسجد



شبابيك المسجد

وانتهاء الصلاة ، فالمسجد يجب أن يريح المرء نفسياً ويحس بألفة فيه وراحة قد لا يجدها فى منزله » .

ثم يعطينا الشيخ الشعراوى فكرة أوضح عن الزخارف من خلال إجابته على السؤالين التاليين :

« **● ولماذا لم نر تلك الزخارف أيام رسول الله ﷺ ؟ .**

– لأن أيام الرسول ﷺ كانت أيامًا بدائية لم تعرف حضارة متقدمة والبيئة كانت بيئة صحراوية قاحلة .. فما بالك بمسجد أسس على سعف وجذوع النخيل وسور من الطين يحيط به لا يتعدى ارتفاعه قامة الانسان .. وقد عمل به الرسول بنفسه تكريماً للعمل وحباً فى البناء .. وقد تم تطوير هذا المسجد وتوسعته أيام سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه عند توفر المال لذلك .

● يرى البعض أن الزخرفة لون من ألوان الترف العقلى وأنها مضيعة للوقت والجهد والمال فما رأيكم ؟ .

– الزخرفة ليست لونًا من الترف إذا كان يتسع له مال المسلمين فى موضوع حلال فذلك فن جمالى .. الشغل به لا يعنى مضيعة وقت ولا مضيعة مال لأن له مهمة أخرى هى ترقيق عواطف الناس واستمالتها إلى الجميل المعجب فى حلال مشروع والله سبحانه وتعالى حينما يمتن على عبيده بنعمة البغال مثلاً لم يقل أنها تحمل أثقالنا بل أنه قال قبل ذلك ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ثم قال وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وقدم الجمال لأن ذلك

الجمال ينتفع به من يملكها ومن لا يملكها ».

ومن ذلك فإننا نجد أن بناء المساجد عمل يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالمجتمع أو البيئة التى يُبنى فيها ففى البيئات التى تتوفر فيها الإمكانيات المادية لا مانع من تشييد المساجد والاهتمام بها وبتشطيباتها ولكن دون بذخ ممقوت أو خروج على قواعد الدين ، ويمكن ترجمة ذلك معمارياً بأن تكون اللمسات الجمالية بالمسجد فى واجهاته الخارجية ومداخله أما من الداخل فيفضل البساطة فى التصميم والتشطيبات والتى لا تخرج المصلين عن خشوعهم المطلوب فى هذا المكان ، أما فى البيئات الفقيرة حيث تجمع التبرعات لبناء أماكن للصلاة فلا يصح أن نبالغ فى زخرفتها وتزيينها والظروف المادية لا تسمح بذلك لأنه فى هذه الحالة يكتفى بأن يؤدى المسجد وظيفته مع مراعاة بنائه بأقل التكاليف وأبسط الطرق .

وتتسع دائرة الحديث عن القيم الجمالية فى الفن بصفة عامة ووظيفته الاجتماعية وأن وجود الجمال فى الفن وفى غيره من الأشياء هدفاً فى حد ذاته « فالله جميل يحب الجمال » حيث يقول الشيخ الشعراوى مختتماً حديثه (*) :

« إن الفن الجمالى له وظيفته فى غذاء ملكات النفس ، وقبل أن يمتن الله علينا بأكل الثمرة قال: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[1] فالانسان ليس بطنًا فحسب ولكنه مشاعر وروح لها نوعيتها الخاصة فى غذائها ولكن المهم أن يكون الجمال الذى يقصده الفن جمالاً باقيًا على أنه جمال بحيث لا يسلمنا إلى

(*) مجلة عالم البناء عدد ٣ سنة ١٩٨٠م .

(١) الآية ٩٩ من سورة الأنعام .

قبح بعده . فمثلاً التمثال فن جميل ولكنه قد يسلمنا إلى الشرك بالله وهذه النتيجة هى القبح بعينه بل هى أقبح القبائح . فهى أنك أعجبت بتمثال قد يكون جميلاً ولكنه يسلمنا بعد ذلك إلى القبح ولذلك يصبح فنًا أحمقًا لا يحل » .

وعلى هذا فإن الجمال كقيمة معيار ينضم إلى معيار الوظيفية واحترام البيئة وهى معايير يجب أن تتوفر فى عمارة المساجد بصفة خاصة وفى العمران الإسلامى بصفة عامة ، ولكن نجد أن الجمال كمعيار له حدود لا يجب أن يتعداها كتصوير الكائنات الحية مثلاً ، فكما أوضح الشيخ الشعراوى : « أن التمثال فن جميل ولكنه قد يسلمنا إلى الشرك بالله وهذه النتيجة هى القبح بعينه بل هى أقبح القبائح » .

المناطق السكنية فى المجتمع المسلم

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ ، سَكَنًا ﴾ (النحل آية ٨٠) وقوله سكنًا ، أى تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة ، ويقول الشيخ الشعراوى فى أحد خواطره القرآنية فى مع ى السكن(*) :

« ومعنى « اسكن » هو الهدوء والاطمئنان .. فالسكن تطلق على المكان الذى يخلد فيه الانسان إلى الهدوء والاطمئنان .. وإن وجد الانسان فى مكان ما الهدوء ولم يجد الاطمئنان ، فلا نطلق على ذلك المكان اسم « السكن » ..

ولذلك فحين ننظر إلى فسادات الدنيا فى بيوتنا نجد أن هناك اختلالا فى أحد العنصرين .

يستأجر الانسان بيتا ليلتمس فيه الهدوء .. فيجد ضجيج الشارع لأن المشرفين على المدينة لم يصمموا أماكن للورش ، أو للأسواق ، إنما تركوا الأمر دون أن يأخذوا العلم بأسباب راحة الأنسان .

وتجد أن المهندس الذى صمم البيت لم يراع حق الله فى احتياجات الساكن .. إنما راعى حق صاحب العمارة

(*) جريدة اللواء الإسلامى عدد ٤٢ سنة ١٩٨٢م .

فضيق على الساكن من أجل زيادة دخل صاحب العمارة .. » .

وبذلك نجد أن المسكن هو المكان الذى يستطيع الإنسان فيه أن يتمتع بالهدوء والاطمئنان والراحة ، ولا يمكن تحقيق ذلك معماريًا إلا بتوفير الخصوصية لهذا المسكن سواء على مستوى واجهاته الخارجية بحيث تكون محمية من أنظار الجيران وكذلك المتطفلين أو بالتخطيط الصحيح للمناطق السكنية بحيث تُفصل مناطق الورش والأسواق والتى تسبب ضجيجاً يقلق راحة الإنسان والذى يريد أن يخلد للراحة ببيته بعد عناء يوم طويل وشاق من العمل خارجه .

أما البيت من الداخل فيجب أن يصمم تصميمًا جيدًا بمساحة معقولة يراعى فيها إحتياجات السكان وهنا تظهر مسؤولية وجود مهندس يصمم ويشرف على البناء مراعيًا لحق الله ولأمانة مهنته ، ويؤكد الشيخ الشعراوى على هذا المعنى فيقول(*) :

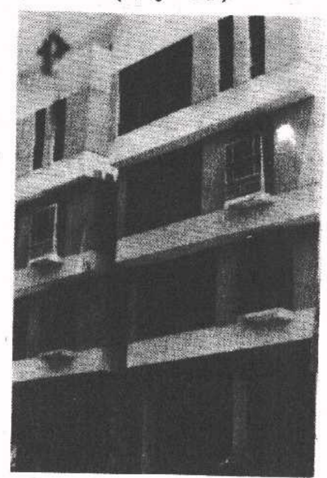
« ولهذا فإذا أردنا بيوتاً هادئة مطمئنة فذلك بجهد فردى مؤمن .. وتعاون إجتماعى مؤمن .. ولتعرف أن كلمة « اسكن » التى وردت بالقرآن الكريم هى دستور حياة إجتماعية مسلمة .

فالرجل خارج بيته لا ليكسل .. إنما لينتج ، والانتاج حركة وعمل صالح يعطى من الخير ما يكفى الفرد ويزيد لرعاية العاجز فى المجتمع .. ويعود إلى البيت

(*) جريدة اللواء الإسلامى ، عدد ٤٢ سنة ١٩٨٢ .



منزل سكني إسلامي قديم
(بيت الكريدلية)



منزل سكني معاصر

ليجد السكينة فيه .. بيت تم بناؤه وتخطيطه من مهندس يرعى حق الله ومن صاحب بيت يرجو بركة الله .. ومن موظفين يشرفون على مساحات الخضرة لينشأ أطفال جدد فى بيئة مؤمنة تعرف حق الطفل فى حياة فيها صحة وعافية ، وتضمن له حق اللعب والنمو ..

إن كلمة «اسكن» هى دستور إيمانى لأتقان حركة الحياة للفرد وللمجتمع ..

إن السكن كلمة وردت فى الكتاب الكريم هى دستور إيمانى ينتجه عمل أفراد يؤمنون بالله ومجتمع يطبق شريعة الله » .

أما عن الأخلاقيات التى يجب أن يتصف بها من يبنون البيوت وملاكها فنجد أن الشيخ الشعراوى يعطينا هذا المثال فيقول(*) :

«لنفترض أن رجلاً صالحاً بنى بيتاً وراعى في تصميمه راحة السكان ، وراعى فى إيجاره حق الله ، فلم يرفع الايجار ولم يغتصب الناس بـ« خلو الرجل » أو مثل هذه الأسماء التى يقهر فيها القوى الضعيف .. مثل هذا الرجل ماذا يلقى من السكان ؟ ..

إن الواحد منهم إذا دخل البيت وأحس بالراحة دعا له ..

والذين من حوله ينظرون إليه ، فيضربون بأمانته المثل ..

ويصبح سلوكه قدوة ومثالاً .. يرتفع به عمله

(*) جريدة اللواء الإسلامى .

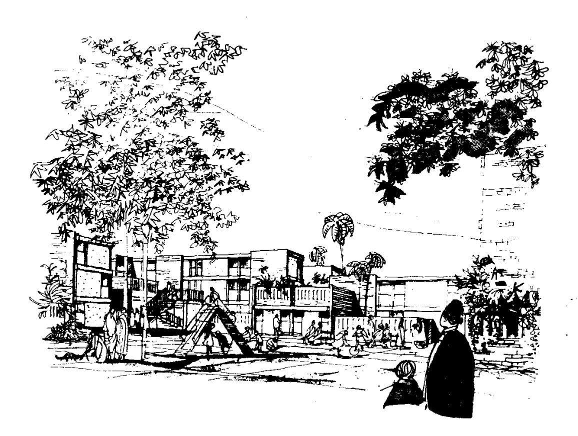
الصالح فوق هؤلاء الذين استغلوا الناس وضيقوا عليهم وحبسوا عنهم حتى مسارات الهواء النقى.. هؤلاء يتلقون فى كل وقت لعنة الناس وغضبهم ومن قبل كل ذلك هناك لعنة الله».

ولكى تكتمل البيئة السكنية الخارجية فإنه يجب أن نحرص على وجود المساحات الخضراء والحدائق والتى اختفت من المناطق السكنية بل ومن المدن بصفة عامة ، فالدعوة إلى وجود المسطحات الخضراء دعوة حضارية أكد عليها الله سبحانه وتعالى حيث يقول : ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ، أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** ﴾ (النمل آية ٦٠) .

فإذا تبين لنا الدعوة الصريح من الدين الإسلامى لإيجاد الحدآئق فلا يخفى علينا أيضاً الفوائد الصحية للمناطق الخضراء فهى تعمل على تنقية الهواء إلى جانب تأثيرها النفسى على سكان المنطقة المتواجدة فيها ، ويؤكد فضيلة الشيخ الشعراوى على أهمية وجود المساحات الخضراء فى أحد خواطره القرآنية فيقول(٥) :

«ونجد أن المساحات اللازمة لوجود الخضرة لتنقية الهواء والبيئة ولعب الأطفال.. نجد هذه المساحات قد تحولت بأيدى السماسرة والمستغلين إلى أماكن يؤجرونها من أجل زيادة الدخل، والكل يتناسى أن الدخل ليس هو عدد الأوراق المالية التى تدخل جيب

(٥) جريدة اللواء الإسلامى ، عدد ٤٢ ، سنة ١٩٨٢م .



الحدائق وملاعب الأطفال
فى المناطق السكنية

صاحب البيت أو المهندس ، أو الذى ترك المدينة دون تخطيط .. ولكن الدخل هو حسن رعاية كل منا لعمله فينشأ بين الجميع رباط من المحبة ، لأن كلاً منا أتقن عمله واتقى الله فيه ، فعاد الاتقان وعادت التقوى بدخل يزيد من الخير على الفرد وعلى المجتمع .. فتوفير الهدوء وتخصيص العلم فى خدمة البشر لون من العبادة لله .. وعندما يهدأ الانسان فى بيته ويعرف أن الضجيج بعيد عنه ، فإن عمله يزداد إنتاجًا مما يعود على المجتمع بالدخل الأكبر وهو الاتساق والانسجام » .

مما سبق فإننا نجد أنه يجب أن نعود إلى إيجاد الحدائق فى المدن القائمة ومراعاة وجودها فى تخطيط المدن الجديدة ويمكن أن تتدرج هذه الحدائق والمسطحات الخضراء فى المدينة على النحو التالى :

- لكل مسكن حديقته الخاصة إن أمكن .
- ثم حديقة على مستوى المجاورة السكنية .
- حدائق المتنزهات على مستوى الأحياء السكنية .
- الغابات والحدآئق الكبرى على مستوى المدينة .
- طرق وممرات حدآئقية تربط المدينة ووحداتها المختلفة .

التطـاول فى البنيــــان

يقول الرسول ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس فى البنيان » ... كما يبين عليه الصلاة والسلام فى الحديث عن علامات الساعة « .. وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون فى البنيان » صدق رسول الله .

وعن عبد الله الرومى قال :« دخلت على أم طلق فقلت : ما أقصر سقف بيتك هذا ، قالت : يا بنى إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عماله « ألا تطيلوا بناءكم فإنه من شر أيامكم » وهكذا فإننا نجد أن التطاول فى البنيان هو من علامات الساعة ، بل هو علامة على شر الأيام ، ويقول الشيخ الشعراوى فى أحد خواطره القرآنية بجريدة الأخبار عن موضوع التطاول فى البنيان(*) :

« وما أن يتعالى الحفاة العراة فى البنيان .. فإننا نجد أن المال ينتقل إلى أولئك الذين لم ينالوا حظاً من العلم أو المعرفة .. ويصبح هؤلاء هم سادة المجتمع .. والعالين عن علمائه .

ولكن هؤلاء الناس .. ليس لهم نسب يتفاخرون به ولا علم يفرض احترامهم على الناس .. ولذلك فكل واحد منهم يلجأ إلى البناء .. متخذاً من ملكيته للمبانى فخراً

(*) جريدة الأخبار (يوميات الجمعة للأستاذ/ أحمد زين) .

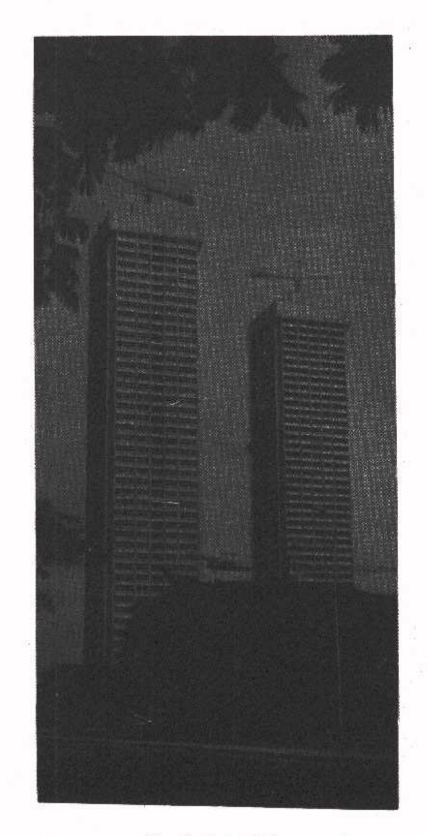
يعوض به كل نقائض حياته .. فيتباهى كل واحد منهم بأنه يملك كذا عمارة .. بينما هو لا يعرف كيف يقرأ جملة واحدة .

يأتى زمن يتحول فيه الأجراء فى البادية أو الريف إلى ملاك للمال .. ويصبح المال فى أيديهم كثيراً .. وكانوا من قبل معدمين .. حينئذ لا تكون طموحاتهم فى أن يزيدوا الريف أو البادية جمالاً فطرياً .. بل أنهم يفسدونه بكثرة البنيان حتى أصبح الريف كالحضر من كثرة البنيان فيه .. ويتم هذا عشوائياً وبدون تخطيط يساعد على إبقاء جمال الريف أو البادية الذى وهبه الله لها .. بل يتم كل ذلك بصورة دميمة .. تجعل هذه الأماكن بعد أن كانت لراحة النفس البشرية مصدر تعب لها .. ولا يجد الانسان مكاناً يذهب إليه ليستريح فيه .

حينئذ نجد أن الذين كانوا من فقراء أهل الريف أو البادية ويعملون فيها يتركون عملهم .. لأنهم تعالوا فى البنيان .. وتصبح الأرض لا تجد من يزرعها .. ويزيد هذا من قبح الريف أو البادية .. لأنها تصبح مهجورة وبذلك تختل ملكات الانسان لأنه لا يجد مكانا يستريح فيه .. وهذه العملية تتم بالتدريج وعلى مر الزمن » .

وقد نبهت إلى خطورة المبانى المرتفعة وتشويهها لمدننا وبيئتنا فى إحدى مقالاتى بجريدة أخبار اليوم تحت عنوان « الأبراج السكنية مشكلة وليس حلاً لمشكلة » حيث كتبت(*) :

(*) جريدة الأخبار ، عدد ١١١٩٧ سنة ١٩٨٨م .



التطـاول فى البنيـــان

«نتيجة لظاهرة التكدس السكانى فى القاهرة والمدن الكبرى، إتجه البعض إلى بناء الأبراج السكنية العالية ظناً منهم بأن هذا النظام من البناء يمكن أن يساهم فى توفير المسكن والذى أصبح من السلع النادرة فى مجتمعنا، ولكن دون دراسة حقيقية وجادة لمثل هذه الأنماط المعمارية المستوردة من الخارج، والآثار السلبية التى يمكن أن يجنيها المجتمع من وراء بناء هذه الأبراج العالية.

فالأبراج أصبحت فى الكثير من الدول الغربية من الممنوعات فى النواحى التخطيطية نظراً لما تسببه من أمراض نفسية واجتماعية، فلقد ثبت أن المبانى الشاهقة الارتفاع مسئولة عن الكثير من أمراض العصر وهذا من خلال كلام رئيس «معهد بيولوجيا البناء» بمدينة «روسينهيم» بولاية بافاريا الألمانية والذى أنشىء خصيصاً لدراسة الأمراض التى تصيب الانسان بسبب السكن فى هذه المبانى حيث يقول العالم المتخصص «أنطون شنيدر» وهورئيس المعهد: «إن السكن فى المبانى الحديثة يؤدى إلى أمراض مزمنة قد تنتهى إلى الأورام السرطانية فى النهاية».

ومن جانب آخر فإن هذه الأبراج لا يمكن أن تحقق بتصميمها وارتفاعها الشاهق الحد الأدنى من الحياة الاجتماعية لساكنيها وهو ما يتعارض مع القيم الاسلامية بل أن كل ساكن يشعر بالعزلة والانعزال عن باقى القاطنين لهذه الأبراج، كما أن نفس المناطق التى تبنى بها هذه الأبراج تتشابه مع مناطق الأسكان المتخلفة تخطيطياً حيث تصل الكثافات السكنية بها إلى

٦٠٠ أو ٧٠٠ فرد/ فدان وذلك نتيجة لارتفاعها الشاهق ووجود كثافات سكنية عالية بها مع قلة المسطح الأفقى المستخدم من الأرض، وهذ يتعارض مع أبسط مفهوم لمعنى التعمير الحقيقى وهو الامتداد الأفقى وليس الرأسى..

ويجب ألا نتناسى أن هذه الأبراج العالية، والتى تبنى تحت شعار حل مشكلة الأسكان، لا تخرج عن كونها مشاريع استثمارية يقيمها القادرون لمزيد من الكسب ولطبقة قادرة على سداد أسعارها الخيالية، وغالباً ممن لا يعانون من المشكلة.

ويبقى أخيرا التشوية البصرى الذى يسببه المنظر الجامد والكئيب لمثل هذه الأبراج العالية الذى يتنافى مع أبسط القواعد الفنية والجمالية والذى يضيف إلى مدننا نوعاً جديداً من أنواع التلوث وأقصد به التلوث البصرى.

إننى أخشى اليوم الذى نجد فيه نهراً عظيماً مثل نهر النيل قد أصبح محاطاً من ضفتيه بسور عال وضخم من الخرسانة المسلحة تشكله واجهات هذه الأبراج العالية، وفى مثل هذا اليوم لن تجدى أية محاولات لأصلاح ما فعلناه بأيدينا من مسخ وتشويه للوجه الجميل للقاهرة أو لمدننا الكبرى».

مما سبق يتبين لنا الأضرار الصحية والأخلاقية والإجتماعية التى تنجم عن الأبراج المرتفعة ، والتى تُحَمِل كل من الدولة والأفراد مسؤولية مواجهة هذا النمط من المبانى والذى يتعارض مع التوجيهات النبوية لرسولنا الكريم عليه

الصلاة والصلام فعلى الدولة أن تسارع بمنع إصدار تراخيص بناء للمبانى المرتفعة وخاصة حول ضفتى نهر النيل أو فى المناطق القريبة من البحار فى المناطق الساحلية حيث المنظر الطبيعى ملك لكافة أفراد المجتمع وليس لفئة محدودة تسمح إمكانياتها المادية ببناء الأبراج والتمتع وحدها بالمنظر الطبيعى وحجبه عن باقى أفراد المجتمع ، كما يجب أن تدرس الدولة كيفية تعويض ملاك هذه الأراضى ماديًا والذين سوف يضارون بسبب عدم استطاعتهم القيام ببناء مبانى عالية عليها وهذا بالنسبة للأراضى داخل المدن القائمة ، أما بالنسبة للمدن والأحياء الجديدة فإن تشريعات البناء يمكن أن تضع حدودًا لأقصى ارتفاع للمبانى كدور أرضى وخمسة أدوار مثلاً على أن يكون ذلك معروفًا لمن يشترى أرضاً بهذه المدن الجديدة حتى لا نكرر نفس الخطأ الذى شوه مدننا المصرية العريقة .

المنظور الاسلامى لظاهرة الانفجار السكانى

تعتبر ظاهرة الإنفجار السكانى من أهم الظواهر أو المشاكل التى نعانى منها وخاصة فى السنين الأخيرة ، وتكمن خطورة هذه الظاهرة فى أنها تعتبر من أبرز بمعوقات التنمية الإقتصادية ، ويحاول المختصون والمسؤولون التغلب على هذه المشكلة بشتى الطرق وإن كان أهم هذه الطرق ما يسمى بعملية تنظيم الأسرة والهدف منها تقليل عدد السكان عن طريق إنقاص معدل المواليد وذلك بواسطة وسائل تتخذ بغرض منع حدوث الحمل ، ونحن لسنا بصدد مناقشة ما يسمى بتنظيم الأسرة ولكن ما يهمنا هنا هو أن نعرف نظرة الإسلام لظاهرة الإنفجار السكانى وذلك من خلال نظرة فضيلة الشيخ الشعراوى ردًا على سؤال وُجِهَ إليه حول الإنفجار السكانى حيث أجاب(*) :

« هناك إنفجار سكانى .. هذا صحيح .. وعندما نحكم المقاييس والمعايير والخط البيانى .. يكون هناك خراب – كما يقولون : سنة ألفين .. هذا صحيح أيضاً .. لماذا ؟ إننا قدرنا العدد الذى سيأتى سنة ألفين ، ولم نقدر له ما أعددنا من الحركة فى الأرض لنواجه هذا العدد .. !!

ماذا فعلنا فى المقابل ؟ قلت : إننى سأقلل السكان .. أقلل النسل .. إذن فأنت (قدرت) على الطرف السلبى ،

(*) كتاب « الفتـاوى » لفضيلة الشيخ الشعراوى .

ولم تقدر على الطرف الايجابى ، بدلاً من أن تقول : إن هذا العدد فى سنة ألفين سيحتاج إلى أرض كذا وإلى بمصانع كذا (ثم تعمل من أجل زيادتها) جئت للناحية الضعيفة وقلت : لا .. ننقص العدد .

إذن قدرت بمعدل الزيادة كل عام كذا .. فى سنة ألفين يكون كذا .. صحيح عدد رهيب .. إنفجار سكانى فقلت : لا بد .. لازم نقلل العدد .. أقول : لماذا اخترت أن تقلل السكان ولم تقل فى الجهة المقابلة نكثر الانتاج ؟ ..إذن فأنت اتجهت إلى الجانب السلبى الذى يعينك على الكسل ، ولم تذهب إلى الجانب الايجابى لتنتج كذا وتفعل كذا وكذا ، وتلزم وتضع خطة ملزمة .. لقد ذهبنا إلى الناحية التى لا تحتاج إلى مجهود ، وطلبنا الناس بتقليل عدد السكان .. متشكرين .. نقللهم حسنا .. (قد إيه) إن شاء الله .. !!

ونحن إذا أخذنا المسألة فى حياة الأفراد العاديين أنفسهم نجد أن أسلوب المعالجة يختلف .. مثلا الشخص يقول لنفسه : عندى ثلاثة أولاد ومرتبى أربعون جنيهًا ويأخذ علاوة – كذا .. إلخ .. هل ذلك يكفى ؟ . لا يكفى إذن لا بد أن أجد عملاً بعد الظهر ، أعمل فى محل تجارى إذا كنت تاجرًا ، أو أعمل على تاكسى ، أو أقف فى كشك بعد الظهر ، وهكذا يسوى الأفراد حياتهم .. أنت هنا تواجه زيادة تبعات الحياة ، ولا تأتى للتبعات نفسها وتقول : لا .. أنقصها وهناك شخص آخر لم يفعل ذلك .. فحينما تزيد عليه تبعات الحياة يكون الضيق .. بينما من تنبه قبل أن تحل الأزمة لم يحدث عنده الضيق .

ونحن – كمجتمع – لم نفعل مقدمًا لنواجه زيادة تبعات الحياة ، ولذلك حينما يقال : إن النبى ﷺ استعاذ من الفقر وكثرة العيال ، نقول : نعم ابتعاداً من اجتماعها !! فأنت لماذا قدرت على كثرة العيال ، ولم تقدر على الفقر ؟ لماذا لم تتحرك فى الحياة لتتغلب على الفقر ؟ (هناك أناس قدروا على الثانية فلم يهتموا بالأولى .. أى استطاعوا التغلب على الفقر ، فلم يضرهم كثرة العيال) . » .

ونخرج من نظرة الشيخ الشعراوى لظاهرة الإنفجار السكانى بأن الاتجاه الذى ينادى بتقليل عدد السكان هو إتجاه سلبى يعين على الكسل لأنه ينظر إلى حل المشكلة بأسلوب سلبى ، أما الأسلوب الإيجابى لحل هذه المشكلة فيكون فى التغلب على الفقر وذلك باستخدام هذه القوى البشرية فى زيادة حقيقية للإنتاج ، وبنظره متأنية نجد أن عملية الزيادة السكانية ترتبط بعلاقة طردية بعملية الإنتاج أو يجب أن تكون كذلك حتى تستقيم وتستمر حياة المجتمعات بشكل طبيعى ، كما أنه يجب ألا نغفل فى نفس الوقت عن أن زيادة السكان يقابله أيضًا زيادة فى العمليات الإستهلاكية وهو ما يدعونا إلى محاربة مظاهر السلوك الاستهلاكى السيىء وإقناع المجتمع ككل حكامًا ومحكومين باتباع أسلوب واقعى وحقيقى لترشيد الإستهلاك وزيادة الإنتاج .

وإذا كان الشيخ الشعراوى يرى أن الاتجاه الإيجابى والذى يكمن فى محاربة الفقر وزيادة الإنتاج هو الاتجاه الواقعى والأمثل لمواجهة مشكلة الزيادة السكانية ، فإن ما يهمنا هنا هو فى توضيح كيفية حل مشكلة توفير المسكن الملائم بأساليب معمارية وتصميمية مبتكرة وهو ما يدعو إليه الإسلام حيث يدعو كل متخصص فى مجال تخصصه لإعمال الفكر والإبداع لحل مشاكل المجتمع المسلم وهو ما سوف نحاول توضيحه فى الفصل التالى .

هندسة إيمانية لحل أزمة الاسكان فى مصر

نحاول فى هذا الفصل أن نتعرف على رؤية الشيخ الشعراوى لحل أزمة الإسكان فى مصر وهى رؤية تنبع من خلال حس إيمانى مستمد من خواطره حول إحدى آيات القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (الآية ٢٣ من سورة إبراهيم) ، حيث يحاول فضيلته أن ينبه المتخصصين من المعماريين بأنه يمكن لهم إستلهام بعضاً من الحلول لمشاكل الإسكان من خلال بعض آيات القرآن ومنها الآية الكريمة السابقة فى وصف الجنة ، وهو فى ذلك يحاول أيضاً أن يحرك الجانب الإيجابى الإيمانى والإبداعى فى المهندسين ويدعوهم لإعمال الفكر والتأمل فى آيات القرآن وسنة الرسول ﷺ بعمق للخروج بالحلول النموذجية لمشاكل المجتمع المسلم ، حيث يقول فضيلة الشيخ الشعراوى(*) :

«وهنا نقول.. أن الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار هى من تصميمات الحق وليست من تصميمات الخلق..

فالخلق قد يشق نهرًا .. ونجد من بعد ذلك النشع يضرب فى المبانى..

لكن تصميمات الحق بطلاقة القدرة.. تكون فيه الجنات تجرى من تحتها مياه الأنهار .. ولا يحدث منها

(*) جريدة اللواء الإسلامى ، عدد ١٧٩ سنة ١٩٨٥م .

نشع .. سواء من تحت أبنية الجنات أو زروعها ..

والذى يقبل على أسلوب ربه ويسأله أن يفيض عليه ويلهمه فهمها هو الحق يقول مرة «جنات تجرى تحتها الأنهار».. ومرة أخرى يقول «تجرى من تحتها الأنهار» قد تشير إلى أن الأنهار تجرى من موقع الجنات.

أن الحق يوضح أن الأنهار تجرى من تحت الجنات حتى لا يظن أحد أن هناك من يستطيع أن يسد عليك المياه ..

إنها أنهار ذاتية.

وعندما نقرأ أن الأنهار تجرى من تحت الجنات بما فيها من قصور فقد يقول قائل: «ألا أستطيع أن آخذ من هذه إن كنت مهندساً أضع تصميمات مبانى الدنيا ملفت إلى أنه من الممكن أن تقيم مبانى وتجرى من تحتها الأنهار ؟...

وذلك ما يحدث فى الدنيا .. نحن نقيم القناطر - وهى مبان - وتجرى من تحتها الأنهار .. وعندما تكون المواصفات صحيحة فى الطوب والأسمنت إلى آخر المواصفات فلا نشع يحدث ولا خلخلة فى المبانى ..

إذن .. فالخلل الذى يحدث فى المبانى عندنا .. إنما يأتى من أثر الخيانة فى التناول .. إذن .. فمن الممكن أن تكون قصور الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أن تجرى من تحتها الأنهار .. ألا يوحى ذلك للمهندس المسلم أن يحيا فى

هذه اللفتة الالهية ويأخذ منها علمًا بأنه يستطيع أن يقيم مبانى تجرى من تحتها الأنهار ؟ .

وهذا يحدث بالفعل فى الحياة .. ونجد مبانى يتم تصميمها وتجرى من تحتها الأنهار .. وهنا نقول :

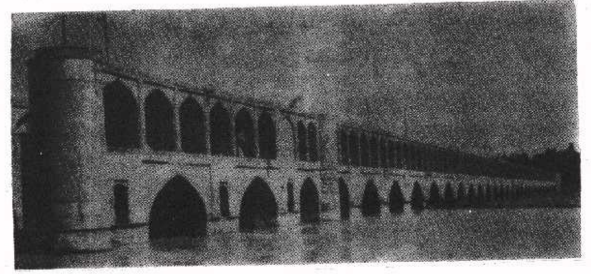
– تنبهت إلى ذلك إيمانية مهندس وأخذ يتعلم عن ربه كيفية اداء العمل .. » .

وبعد أن أوضح لنا فضيلة الشيخ الشعراوى كيف أن المهندس السلم يمكن أن يستلهم عطاء الله من آيات القرآن يحاول أن يتعلم من خير المبدعين كيفية جعل الأنهار تجرى من تحت المبانى كما فى قناطر المياه مثلاً ، فإن فضيلة الشيخ الشعراوى يحاول أن يُحلق بخياله وحسه الإيمانى مطبقاً فكرة إقامة المبانى السكنية على المساحات المائية مثل نهر النيل أو الترع الصغيرة والمصارف مع مراعاة وجود الفراغات والزروع اللازمة لجمال البيئة ، وهنا يتطابق الحس الإيمانى للشيخ الشعراوى مع تصورات مدن المستقبل والتى تخيلها أعظم مهندسى العالم تُبنى فوق الماء .

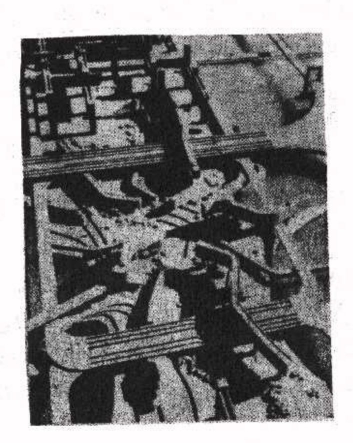
ويتكلم الشيخ الشعراوى عن هذه الهندسة الإيمانية فيقول(*) :

« ولنتكلم على مصر التى تعانى من أزمة إسكان .. إن المساحة المائية تأخذ قدرًا كبيرًا من الأرض .. سواء أكانت النيل أو الرياحات التى تأخذ من النيل ، وكذلك الترع الصغيرة وكذلك الطرق والسكك الحديدية ..

(*) جريدة اللواء الإسلامى ، عدد ١٧٩ سنة ١٩٨٥م .



قنـــاطر الميـــاه
(قنطرة نهر زندة - أصفهان)



البنـــاء عـلى المـــاء
(مشروع ميناء طوكيو المعمارى كينزوتانكه)

فلو أن هناك هندسة إيمانية لاستغلت المساحات المختلفة لنرى المسطحات المعطلة ونقيم عليها مبان تسع مرافق الدولة كلها .. ويتم إنجاز المبانى فوق السكك الحديدية والطرق وفوق المياه .. وفوق المصارف ..

وليس معنى ذلك أن نبنى كل الأماكن حتى تصير مسدودة بالمبانى .. ولكن نبنى الثلث ونترك الفراغ مقدار الثلثين حتى لا نفسد المنظر .. ولا نعتدى على أرض خضراء مزروعة ..

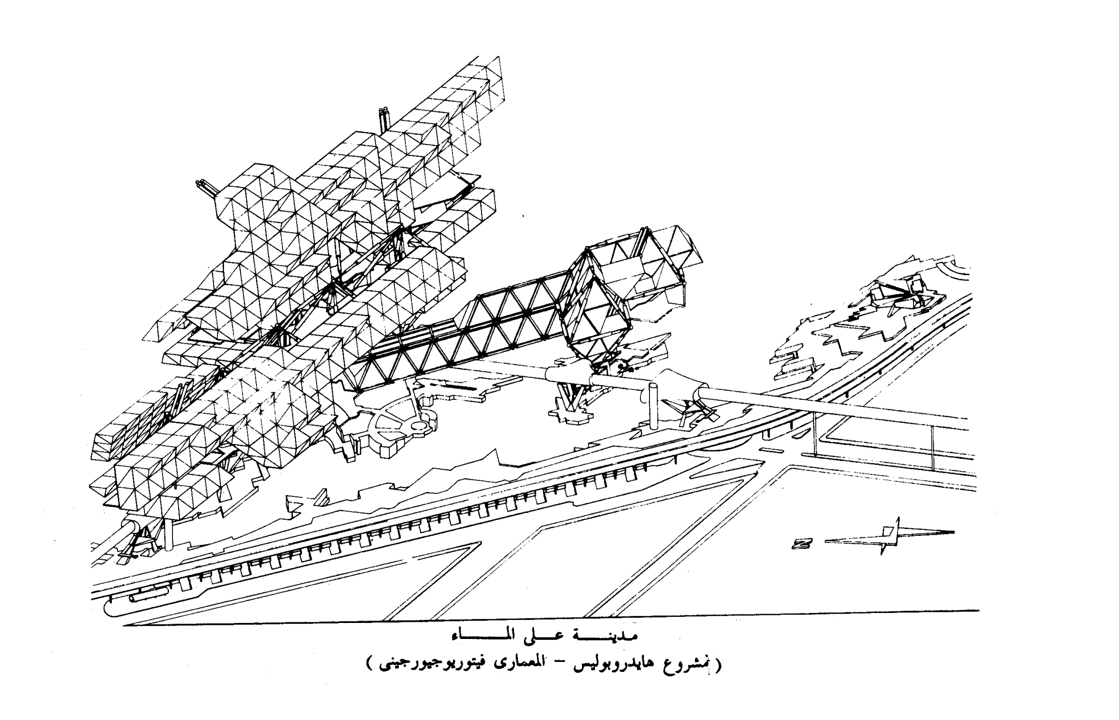
إنها إيحاءات إيمانية على المهندس المسلم أن يفكر فيها .. فبلد كالقاهرة .. فيها مرافق مختلفة منوعة نحتاجها .. نستطيع أن نبنى على فراغات سواء أكانت فراغات فى مساحات النيل بشرط مراعاة الفراغات والزروع اللازمة لجمال البيئة وتنقيتها من التلوث .

أو نبنى المرافق تحت الأرض .. ولن تكون هناك أزمات للاسكان أو المرافق » .

وبذلك فإننا نرى كيف أنه يمكن للمهندس المسلم أن يستلهم بحسه الإيمانى إلى جانب علمه المعمارى من آيات القرآن ومن وصف الجنة على ما يعينه على حل أزمة الإسكان أو فى تطوير الفكر المعمارى بأسلوب تتجلى فيه عبقرية الإيمان ممتزجة بعلوم الدنيا ، ونرى الفكر الإبداعى للمهندسين غير المسلمين يظهر للتغلب على مشاكل مجتمعاتهم ، وتطبيقاً على ذلك فإننا نجد المعمارى اليابانى « كينزوتانكه » يقترح لتوسيع مدينة طوكيو أن يستغل حوض خليج العاصمة اليابانية لهذه الغاية ، ويصمم لذلك مدينة عائمة على الخليج وتتألف

من ركائز عمودية تبعد الواحدة منها عن الأخرى ٢٠٠ متر توصل ما بينها جسور الأبنية المتعددة الطوابق .

كما أعد المهندس « فيتوريوجيورجينى » بالتعاون مع معهد برات مشروعاً أطلق عليه اسم « هايدروبوليس » يتضمن مبانى مختلفة وفسحات مكشوفة ومظللة على مناسيب مختلفة وجهزت بمصاعد كهربائية لتنقل المشاة من منسوب إلى آخر ، وتستوعب هذه المبانى ١٧٨٦ منزلاً ، وفندقاً يحوى ٢٤٠ غرفة إلى جانب مراكز ثقافية وترفيهية وعلمية ، رُفعت كلها على هياكل فولاذية مؤلفة من كمرات تلتقى كل ثمانية منها فى مفصل واحد ، بحيث تكون جسراً موحداً فوق الماء ، ولتثبيت هذه المنشآت فى قاع النهر صممت قواعد هى بمثابة جزر إصطناعية مجهزة لتأمين العبور من الطبقات السفلى إلى الطبقات العليا ، وهنالك أيضاً نفق يهبط من هذا المجمع إلى نفق آخر شاسع تحت الشارع العام الموازى للنهر حيث توجد مواقف السيارات ومحطات السكة الحديد ، إن مشروع « هايدروبوليس » هذا المصمم أصلاً للبناء فوق الماء ، والقابل للتطور ، بحيث يصلح تطبيقه على اليابسة أيضاً ، هو فى الواقع أول نموذج من نوعه يندرج فى إطار الفن الحديث للتصميم البيئى .



مدينة على الماء

(مشروع هايدروبوليس – المعمارى فيتوريو جيورجينى)

ربط عمارة المجتمع المسلم بشريعة الاسلام

بعد أن استعرضنا خواطر فضيلة الشيخ الشعراوى حول عمارة المجتمع الإسلامى ، فإنه يجب أن نكون قد خرجنا ببعض الأسس والمفاهيم حول عمارة وعمران الأرض وخاصة فى المجتمعات الإسلامية ، فالأسلوب الأمثل لعمارة الأرض يرتكز على احترام البيئة بشقيها سواء كانت طبيعية من خلق وصنع الله أو بيئة ومبانى من صنع وتصميم الإنسان وهو ما نطلق عليه مسمى التراث المعمارى ، هذا إلى جانب إلتزام المصمم بتعاليم الإسلام سواء فى التصميم الجيد أو التنفيذ المتقن .

وقد اتضح لنا أن بناء المساجد يرتبط ارتباطاً مباشراً بالمجتمع والبيئة التى يُبنى فيها بكل ما تشتمل عليه كلمة بيئة من مدلولات ، كما يرتبط أيضاً بالإمكانيات المادية لكل مجتمع ، وأن الجمال بصفة عامة يعتبر أحد المعايير التصميمية ولكن هذا الجمال له حدود ولا يجب ألا يتعداها كتصوير الكائنات الحية مثلاً .

أما بالنسبة للمسكن فإن أهم معاييره التصميمية هى توفير الخصوصية والهدوء والاطمئنان ، كما يجب أن يراعى فى تصميمه احتياجات الساكن وأن يكون بمساحة معقولة ، وأن يتم الفصل بين المناطق السكنية ومناطق الورش والصناعات حتى يمكن أن يتوفر الهدوء والمناخ الصحى بالمناطق السكنية ، ثم بعد ذلك نوجد الحدائق المنتزهات وملاعب الأطفال فى داخل هذه المناطق السكنية .

كما اتضح لنا أيضاً أن التطاول فى البنيان يتعارض مع توجيهات الرسول ﷺ وذلك لما يسببه من أضرار صحية وأخلاقية واجتماعية ، وأن على الدولة أن تسارع بمنع إصدار تراخيص بناء للمبانى المرتفعة خاصة فى المدن والأحياء الجديدة .

كما اتضح لنا من خلال المثال الصادق والجاد الذى أعطاه لنا فضيلة الشيخ الشعراوى من إمكانية أن يستلهم المعمارى المسلم من آيات القرآن – وبالتالى من تعاليم الإسلام – حلولاً وأفكاراً وتوجيهات لحل المشاكل العمرانية فى المدن القائمة ، أو أصولاً وأسساً لتعمير وعمارة المجتمعات المسلمة الجديدة ، وبذلك يتضح لنا أهمية ربط عمارة المجتمع المسلم بشريعة الإسلام ، مع الاستعانة بآراء وتوجيهات علمائه على مر العصور والتى يمكن أن تتبلور من خلال العلوم المعمارية المعاصرة لتشكل عمارة المجتمع المسلم .

ومن هنا يتضح لنا أن عمارة المجتمع المسلم ما هى إلا مظهر مادى يجب أن يعبر عن قيم وأخلاقيات الإسلام سواء على مستوى التصميم أو التنفيذ وأن معرفة المعمارى بأصول دينه هى البداية الصحيحة لخدمة مجتمعه الذى يعيش فيه ، كما أنه يجب أن نعتبر أن الدعوة إلى إستمرارية القيم الإسلامية فى عمارتنا المعاصرة دعوة لا تتجزأ عن الدعوة الأساسية لوجود المجتمع المسلم الذى يطبق شرع الله وتعاليمه مما يدعونا إلى الاهتمام بالتوعية الدينية وتأصيل القيم الإسلامية فى مجتمعنا على جميع المستويات وفى مختلف المجالات .

وبذلك فإنه يمكن أن نقرر أن : « **عمارة المجتمع المسلم تتجلى فى كل ما يقام من مبان وإنشاءات وفق تعاليم الإسلام من أجل تنفيذ مشيئة الله فى عمارة الأرض العمارة الصالحة والفاضلة ... وكل ذلك من خلال العلوم المعمارية والإنشائية والبيئية المتعارف عليها** » ... ومن التعريف السابق فإنه يجب أن

نخرج ببعض الحقائق والتى يجب أن نتفهمها وتستقر فى ضمائرنا :

أولاً : أن إرتباط فن العمارة بالإسلام يجب أن يكون إرتباطاً جوهرياً لا مظهرياً أو شكليًا ، بمعنى أن يعبر كل مبنى فى المدينة عن أخلاقيات وتعاليم الإسلام وأن تهيىء هذه المبانى البيئة والمجتمع المسلم الصالح لمعيشة الإنسان المسلم والمعينة له على عبادة الله وتنفيذ أوامره .

ثانيًا : أنه إذا اتفقنا على أنه يوجد العديد من المتغيرات والثوابت والتى تؤثر على عمارة المجتمع المسلم فيجب أن نقر بأن العامل الثابت هو تعاليم الإسلام لا تختلف باختلاف المكان أو الزمان ، أما بالنسبة للمتغيرات فتختلف من مجتمع مسلم لآخر حسب الظروف البيئية والمناخية والخلفية الثقافية والعادات المحلية ، واختلاف مواد البناء وأساليب الإنشاء ... فعلى ذلك سوف تظهر أنماط وطرز بناء تختلف من مجتمع مسلم لآخر نتيجة لهذه المتغيرات ، ولكن لا يجب ألا تتعدى هذه الاختلافات الشكل الخارجى فقط للمبنى ولكن يبقى الجوهر التصميمى ثابت حيث أنه يعتمد كما أوضحنا على عامل ثابث واحد ألا وهو تعاليم الإسلام .

محتويات الكتاب